

عسلية العينين



اكرم خالص

بغداد

عسلية العينين لا تتسالي

يُبَيِّكُ عن شَوْقي إليك سَكاتي

مِنَ أين ، يا أحلى النساءِ أَتَيْتني



قصة قصيرة 2-1

سراب

منار عبد الهادي

بغداد

ي درس الطب في بغداد ، حدثتني عن احد اعمامها الذي يعمل مستشارا في وزارة النفط . لم تتحدث لي عن والدها الذي عرفت لاحقا بأنه مات اثناء فترة دراستها في كلية طب الإسنان في الجامعة المستنصرية ، الامر الذي سبب لها صدمة نفسية اثرت عليها في حينها . لقد عزز موقعها الاجتماعي والاكاديمي مكانتها عندي ، فصرت انظر لها بنظرة تختلف عن تلك التي انظر بها الى الاخرى، نظرة تنم عن الاجلال والاحترام الفائق والإعجاب الذي تحول الي حب . كنت على يقين بانها من وسط مرموق قبل ان اكتشف حقيقتها تلك ، فثقافتها المرتفعة وطريقتها في الحوار لا تدع مجالا للشك . لم استطع كبت مشاعر الحب التي صرت اكنها لها بعد فترة من تعارفنا ، خصوصا بعد ان رايت عددا من صورها . كانت طويلة القامة ، مشوقة القوام ، ضيقة القد ، تمتلك عينا ن فتنت بها . كانت امرأة ذكية ، وكثير ما كانت تخبرني النساء الذكيات ، ولهذا من السهولة بمكان ان اقع في حب احداهن بعد محادثة قصيرة معهن . كنت احب المرأة التي تدخل معي في حوار يتعد عن التفاهات والكلام عديم المعنى . اخبرتني فيما بعد بانها تعمل طبيبة اسنان وانها من عائلة ثرية اكاديميا ، اختها الكبرى تعمل طبيبة في امريكا ، اخوها الاصغر فيه : سنان كول تجبني وفضها . ردت بعد

فترة وجيزة من التجامل والتهرّب من رسائلي المكتفة واللحوحة سنان لا تجبني ولا تكرهني . كانت ترديني صديقا فقط لا غير ، لكن انى لقلبي الواله ان يعرف ذلك . هي لم تتقبل الحب لا لأنها تكره الحب ، بل لوجود معوقات كثيرة امام هكذا حب . حب يشبهه الى حد ما حب عصفور لسمكة ؛ لا السمكة تستطيع ان تترك الماء وتلتحق بالعصفور ولا العصفور يستطيع ان يترك الهواء ويلتحق بالسمكة . كانت هناك معوقات تمنع استمرار مثل هكذا علاقة ، اولها كان فارق العمر ، اذ كانت مريم تكبرني بسبعة اعوام ، ناهيك عن التفاوت الطبقي ، تعيش في منطقة كانت مريم من عائلة غنية ، تعيش في منطقة زبونة احدى مناطق بغداد الراقية ذات المنازل الواسعة ، وقاطنين اغلبيهم من الاكاديميين ورجال الاعمال ؛ اما انا فقد كنت اسكن في منطقة الحرية ذات المنازل الضيقة والعشوائيات ، اغلب قاطنيها هم اناس بنسباء الحال من الطبقة الفقيرة والمتوسطة ، كما تزخر المنطقة بعدى الى ملك وزارة المالية والتوظف في احدى شركات قطاع التأمين التابعة لها . كنت اسكن مع والداي واخوتي في منزل جدي المحكظ بالساكنين والحاجيات والورثة الشرعيين وكانت تحدث مشاجرات ومشاكل بين الفئمة والآخرى على اتفه الاسباب . كان ذلك كفيّل بأن ترفض اي امرأة مثل مريم عرضا بالزواج فيما اذا كنت لعلاقتنا النجاح . على الرغم من التقارب الفكري بيننا والتفاهم الذي دفعها يوما لتقول لي سنان انت اكبر من عمرك . كان هناك الفارق الاكاديمي ، كانت تحمل شهادة البكالوريوس في طب الاسنان فيما كنت انا احمل شهادة الدبلوم في المكائن والمعدات ، على الرغم من طموحي بدخول الجامعة في المستقبل القريب . هناك من يرى عيبا في التحدث طبقيّة ، لكني ارى عكس ذلك ، فمن حق اي فرد ان يفكر بخافير اي قرار على مدخولاته المادية ومكانته . لم تتنطق مريم الى الفارق الطبقي بيننا – ربما كانت ترى ان الموضوع قد يجرحني وهذا غير صحيح – بل ركزت على الفارق العمري . قالت لي يوما سنان اني صرت بصف الثاني ابتدائي وانت اجبت للدنيا ، اخويه الزغير نفسى مواليدك ، لو كانت اعمارنا متقاربة كان الوضع صار افضل ، انس الموضوع او بالاحرى اسانني ولا تجحي وياي بعد . لا ادري لماذا طلبت مني ان لا اكلهم مرة اخرى ، ونسيانها ايضا ؛ حاولت فيما بعد التحدث اليها عبر المراسلة ، لكننها لم تكن تجيب على اي من رسائلي . كان ذلك المسمار الاخير في نعث استمرارنا كاصدقاء على الال . لقد شكّل ابتعادها عني صدمة ما لبثت ان اتخلص منها الا بعد اشهر عديدة ، وظلت تستعر في قلبي جذوة شوقي لها الى ابعد من ذلك . حالة الاكتئاب التي مرتت بها في الايام الاولى لرحيلها لم تكن تمتلك شيئا من الرحمة وصارت تلسعني بسياطها كلما حاولت الإنفكاك منها ، قلق ، شعور بفقدان الذات ، خواء ، عدم الرغبة بالعمل ، انطواء ، انفعال لنوافه الامور

، دموع لا امتلك السيطرة عليها . لذتي كانت هي العزلة تماما عن العالم في صومعتي التي الذي حالفني الحظ بظلامها حتى في ساعات النهار ، او الخروج لآتمشى وحيدا لمسافات طويلة مستذكرا خلال الحركات الإيقاعية تلك الايام التي كنت امضها بالحديث معها ، وكيف كنت ابدا صباحي بها ولا اتركها حتى منتصف الليل . نقص النوم الذي كنت اعانيه ايام وجودها صار نسيا منسيا امام ساعات النوم الطويلة التي كنت امضيها ، لعلى اراها في حلم ؛ . كنت استمتع جدا بالوقت الذي اقضيه معها . كانت كالزهرة تمدني بالحريق وصرت اعاني الجوع بغياها . حاولت التقرب لكثير من النساء لكن لم استطع اي منهن شغل مكانها بل صارت مريم مقياسي الذي اقيمهن فيه . مارست الكتابة في محاولة للهروب منها ، نجحت بالكتابة وكتبت عددا من القصص القصيرة ، لكن لم انجح بالهروب منها . كانت ملاذي التخيلي الذي الجا اليه هربا من مرارة القدر، لذلك شغلت فكري اكثر من اي شيء اخر لم اطق تحمل ستة اشهر من ابتعادها فقررت ارسال رسالة اليها : تتذمرين وتتساعلين ما الذي يريده هذا الغريب ؟ يا عزيزتي الجميلة . انا انا ذلك الحالم السارح في افق لا ينتهي ، فوكئ عالمه لسكون نفسه اليك . قلت ساعلنها حريا نفسية ، فهنيئا لك الانتصار . فهكمت ؛ وفعلتي ، امسيت بحثا عن بقايا روحك علي احمد شيئا من نار نشبت وابت ان لا تنطفئ . فزرت اماكن مقامك بلهفة عاشق يزور ايك معشوقه . لقد اوصدت جميع رُجُلك لسبب انا فيه جاهل ، فعترت بين العتمة على نور يشع من احدى نوافذك ولا اخالك ستغلّفنيها لثقي ذلك الغريب يسبح في الظلام . وجدت فيك عالمي ورايت من خلاك نفسي وامسيت تائها بين ليلة وضحاها حين غربتي ، وما برحت انتظر الشروق .

لا يهم ان تكرهين وتتعصبن وتقولين ما ترين . المهم ان تعلمي ان من بين من تواسجت كلماتك بما يكتبون ، شخصا احبك حبا افلاطونيا رغم الابتعاد المرير واحب حتى عنادك . واعلمي يا جميلتي ان بإمكان رفه لجنح فراشة ان تُحدث انحصارا في المدى البعيد ، فلو اردتني متى النسيان فاجعلي الطبقي يعود لأمسو كل ما تعلمت واحببت حين عرفتك ، واعيدي لي حزني وابتساماتي واشواقِي . لم يكن ما مضى مجرد لحظات عابرة . فلا مناص ان تشرق شمس دون ان ينضب فؤادي بك ، بل دون حتى ان تنب اشراقه عينيك ، فتطاطئ باقي العيون خجلا . تحياتي واشواقِي غاليتي مريم . صديقك المخلص سنان .. . قلت افلاطونيا كون نظرتي الاولى لها كانت كذلك ، قبل ان يستعر قلبي وجدا ، ويترقب سيل من المشاعر نحوها . يوما ما وحينما توقفت عن تحببتها ذات صباح لعدم تقبلها فكرة جبي لها ، بعد ان كنت مواظبا على ذلك . قالت لي : سنان انا احارك نفسيا ؛ . كانت تعي نقطه ضعفي وهي ولعي بها لذلك اخذت تعزف على ذلك الوتر . لم ترد بشيء على تلك الرسالة بل اكتفت بتغيير صورتها في استغرام الذي ارسلت رسالتي من خلاله ، باخري تبدو فيها اصغر عمرا ، كانت قد ارسلتها لي سابقا وابدبت اعجابي الشديد بها . لا ادري ما القصد من فعلتها تلك ، حتى انها لم تقم بتغييرها لفترة طويلة ، وقد فعلت نفس

الفتى ياء 10

جسد الأشياء

3

كل الأشياء

تدور في فلك اليسار

حتى الواقفة على مسرح القصيدة

فلا نهاية

لخلجات العشق

4

الخروج من جسد الأشياء

كالوقوف في منتصف الاتجاهات

كالدوران في قعر مرآة لا تعكس الكبرياء .



الشيء حين ارسلت لها رسالة اخرى على الفيسبوك . واصلت الكتابة اليها رغم علمي بعدم ردها على اي من كتاباتي . كانت الكتابة اليها تشعرني بارتياح قلما شعرت به اثناء فترة غيابها ، كانت ترياقا يفرغ ما في من شوق لها ، فيشعر بنشوة كما يفرغ المغتلم شهوته ، تنسيه ما قاساه قبل ذلك . ارسلت لها يوما ، حينما كان شوقي لها يحرقني بخار لم استطع ان احملها ، ولم اكن ادري ان كانت تقرأ ما اكتب لها ام لا ؛ اشتقت اليك جدا حبيبتي ، ما عدت استطيع مقاومة ذلك السحر الذي يشدني اليك تارة ويحرقني شوقا لأبامك تارة اخرى . مريم ، انت تقطعين الاوصال وانت بعيدة ، ماذا لو كنت امامي الان ؟ تلك النار المستعرة لا تنطفئ إلا بالكتابة اليك ، وذلك اللم الفلّيع الذي يعتريني ويربدي عتمة القبر كلما تذكرتك ، لا يكاد يفلك عنى إلا بقول كلمة احبك . لم يعد سنان هو نفسه قبل ان يعرفك ، ولم تعد نفسها تلك الروح التي كانت تجذب الى كل جميل حين تعلقت بحمالك ؛ . لماذا تجسد جمال النساء فيك ، ولماذا شغقتك يا ترى الى هذه الدرجة ؟ ربما اراد الله ان يري الناس جمال خلقه من خلالك ، او ربما خلقتك فحلا لإيقاع كل ناسك تصور ان لا امرأة يمكن لها ان تخربه بتعبده ؛ ربما انا عشقتك لانك تلك الهالة التي تحيط بكل الاشياء الجميلة التي احبها ، او لانك تملكين من السحر ما لا طاقة لي على بطالانه ؛ احبك مريم رغم كل مغريات النساء واحبك رغم كل ذلك الالم الذي توجهيمته الى قلبي الصغير الذي يباني رغم شقائه ان يتعلق بامرأة غيرك ؛ بل ويايبي ان يتركك لينفك عنه العذاب ؛ فاي مازوخية تلك التي ابتلي بها قلبي واي سادية تلك التي تحملينيها . تحبتي لك حبيبتي مريم . احبك جدا . سنان . وكالعادة لم ترد بشيء ؛ . واه له من قدر بحسب الانسان بشيء ولا يعطيه كاملا ؛ من اصعب الاشياء ان يتعلق المرء بشيء لم يكتبه القدر له ، او ان يحب شخصا لا يريده ، او يكتب لمن لا يقرا كلماته ، انه لشعور بشع ، عنيف ، سوطا يعرف الرحمة ولا يلبث الا ان يحط من قيمة المرء امام نفسه التي طالما حافظ على سموخها . كانت مريم نواظب على كتابة المدونات في تويتر . بعد ما ارسلت احدي رسائلي اليها تركت الموقع ، وقد استمر غيابها للاسبوعين اثنين . اخذ القلق منى مأخذه ، وسيطر علي الذعر ، خفت جدا ان يكون قد اصابها جدوا ، ويؤلني الرغم من جفائها إلا اني احبها جدا ، ويؤلني ما يصيبها كما يؤلني مصابي . ارسلت لها رسالة معبرا فيها عن حالة القلق التي تنتابني ؛ عزيزتي مريم : لم ارك تغردين منذ اسبوعين في تويتر ، انه لحقا مدعاة للقلق ، لا استطع ان امنع نفسي من انشغالها بك وانا اجهل حالك ، جل ما اتناهه هو ان تكوني بخير ولا اتمنى شيئا غير ذلك ، فسعادتك هي سعادتِي وسقمك هو سقْمِي ، فان كان ابتعادك لفرح ، عسى ان تقضي كل حياتك فرحة ، هانئة ، مطمئنة ، وان كان ابتعادك لسقم ، ارجو حقا ان ينضو ذلك باقرب وقت ، وان يعود الامل ورونق الشباب الى محياك ، فلا يليق بك غير ابتساماة دائمة تزين فُرك ، وجمال منقطع النظير يلف اطلالك ، وحيوية بلغت من النشاط والديمومة اقصاها ، وصحة يغبطك عليها الاصحاء .